قصيدة الأستاذ شفيق جبري

في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس

مجمع اللغة العربية بدمشق

شرد البيانُ فما أُطيق بيانا ... فاكتُمْ جراحك وادفنِ الأشجانا

ما للقوافي إن دعوتُ شرودها ... شمختْ وما ألقتْ إليَّ عنانا

هل راعها شيب يجلّل مفرقي ... أفما أمتّع بالشباب جَنانا

هوّن عليك فما تمرّد خاطري ... إلاّ أتاني طائعاً مِذْعانا

أفلا تحرّكني شدائد أمةٍ ... هانت فسلْها هل تُحِسّ هوانا

هل كنت أبخَل بالدموع على الحمى ... أفلم يقرّح دمعي الأجفانا

أفلم يجدني في المسرّة والأسى ... زمناً أُسرّ وأزمناً أسوانا

لو كنت دون الله أعبد جنّة ... لعبدت منه مفاوزاً وجِنانا

قلبي وروحي والهوى ولهيبه ... فاضتْ عليه محبّة وحَنانا

وطني ولم أؤمن بغير ترابه ... وأرى التراب يزيدني إيمانا !

★ ★ ★

كم عبقريّ في ظلام قبوره ... نفض القبور ومزّق الأكفانا

فكأنه عين تضاحك أعيناً ... وكأنه أذن شجت آذانا

دانٍ يدور مع الليالي حسنه ... يزداد في دورانها إحسانا

هذا فتى الفتيان زينة طيّئ ... غنّى فهزّ غناؤه الفتيانا

أعلى المالِك ما بناه سحرُه ... سحرُ البيان يمرّد البنيانا

رسم الطمانَ على السطور خيالُه ... أفلا نرى بين السطور طعانا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكأننا والحرب تذكو نارها ... نَصْلى وقد حميَ الوغى النيرانا
لولا أبو تمّامَ والشعر الذي ... روّى القلوب ونضّر الأذهانا
ما كان هزمُ الروم نصب عيوننا ... حيّاً يقصّ من الرّدى أفنانا
فانعمْ بما خلقت لنا آياته ... خلقتْ لسلطان الحمى سلطانا !

★ ★ ★

لله درُّ عصابة من طيّىء ... أعطتْ فكان عطاؤها تهتانا
أعطتْ ديار العرب من إلهامها ... غرراً تدور مع السنين حِسانا
أفما سقاك البحتريّ خموره ... أفما تظلّ بخمره نشوانا
دخل القصورَ على الملوك منادماً ... فجلا لأعيننا بها الأزيانا
فاذا لقيتَ رُخامها وكأنّه ... حبكُ الغمامِ فقد لقيتَ عيانا
فترى القوافيَ من رفيف سقوفها ... درّاً يضيء ولؤلؤاً ومُجانا
من كلّ أسود كالليالي حالكٍ ... أو كلّ أبيض يخطف الأعيانا
وترى الزُجاج على السقوف كأنه ... لججٌ تموج فتفرق الحيطانا
صورُ القصورِ ومعجزات خطوطها ... برقتْ وكان بريقها فتّانا
ما زال بالإيوان يحبُك وصفه ... حتى تراه أنطق الإيوانا
يروي لزائره روائع فنّه ... فيظن أنّ له فماً ولسانا
كست الحضارة شعره ألوانها ... فتكاد تلمح عيننا الألوانا !

★ ★ ★

أرأيت قومك فاغترفْ من بحرهم ... درجوا وكانوا للهدى عنوانا
ناج الذي ملأ الأنامَ دويُّه ... يمسي ويصبح مائجاً غضبانا
عشق الحروب فهل ترى في شعره ... إلاّ حساماً صارماً وسِنانا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكأنّ من حمر الدماء مدادَه ... وكأنّه أملى بهـا الديوانا
تجري الدماء على عنيف بيانه ... بحراً يجـرّ ورآءه كثبانا
قتلى وجرحى والسيوف تنوشهم ... لم تبـقِ من أركانهم أركانا
نظم القريضُ لآل حمدان العُلى ... فكأنه أحيا لهـم حمدانا
لولا بنو حمدان والسيف الذي ... أعلى العروبةَ في الربوع وصانا
لمحتْ جيوش الروم سحر لسانها ... وتخرّمتْ أعلاجهم عدنانا
فافخر بشاعرهم ورتّلْ شعره ... أفلا تراه للعلى معـوانا !

★ ★ ★

زحف الزمانُ ولم تزل أوطاننا ... نهبَ العدوّ يبعثر الأوطانا
تلك الضغائن لا يزال سعيرها ... طيّ الحشا ، من يطفئ الأضغانا
قالوا : السلام، فهل رأيت سلامهم ... هدموا البيوت وشتّتوا النسوانا
إن لفّت الأمّ الرؤوم وليدها ... في الحضن ليلاً زلزلوا الأحضانا
أو رامت الأطفالُ نوماً هادئاً ... حرموا الكرى وتخيّلوا الشيطانا
لم تسـلم الأديان من أيديهم ... نقموا فمسّوا بالأذى الأديانا
في كل يومٍ صيحة من جرمهم ... تعلو السماء فتخـرق الأعنانا
لا القدس آمنة ولا حرم الهدى ... أين الأمان ، فهل تحسّ أمانا
عجباً لقومٍ كالنعامة في الوغى ... واليوم أضحوا في الوغى فرسانا !
ضربتْ عليهم في البريّة ذِلّة ... ما بال ذِلّتهم غـدتْ طغيانا
ويل الضعيف إذا تملّى قوّة ... ألفيتـه في ضعفه ثعبانا
فانهض صلاح الدين وانظر عصبةً ... حرنوا وزادهم الغرور حِرانا
كنت الوحيد ضمان أمّة يعرب ... ضاعت ديارك من يكون ضمانا !

★ ★ ★

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لولا «الفداء» وعاصفات رياحه ... فوق الحصون تهدّم الأحصانا
لولا دمٌ تندى فلسطين به ... وترى التراب بدفقه ريّانا
لم يرتفع للعرب رأس في الورى ... يوماً ولا اختلج العدوّ وهانا
الجحجحات وقد يدوّي صوتها ... هيهاتَ دفعُ دويّه العدوانا !

★ ★ ★

يا ساقياً والخمر ملء كؤوسه ... اطرحْ كؤوسك واسقني الألحانا
قد عشتُ في ظلّ القوافي حقبةً ... أجد الشباب بظلّها فينانا
ما هاجني إلا صدى إيقاعها ... أمسي وأصبح بالصدى سكرانا
خمسون عاماً في مراس زمامها ... حتّى استكان لي الزمام ولانا
جرّبت من مضض الهوى لذّاته ... وبلوت منه نواعماً وخشانا
ما راقني إلاّ البيان وسحره ... فاملأ كؤوسك إن سقيتَ بيانا
وأدرْ عليّ الشعر إن غنّيته ... حتّى أسلّ بوقعه الأحزانا
فيه العزاء وفيه كلّ مسرّةٍ ... تروي بعذب معينها الظمآنا !

★ ★ ★

أكرم بقوم أورثوا تاريخهم ... لغةً تظلّ على العلى برهانا
لغة تفيض نعومة وصلابة ... تحكي النسيمَ وتشبه المرّانا
حيناً ترقّ كأنّها نَسَم الصّبا ... فوق الخمائل ينشر الريحانا
ويموج حيناً كالخضمّ عبابها ... فيكاد يجرف موجه الشطآنا
لغة الأسنّة والصوارم والقنا ... كانت لنار جحيمها ميدانا
مرّتْ بها الأزمان وهي منيعة ... لا ترهب الأحداث والأزمانا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كم نازعت لغة الغزاة بيانها ... طار الغزاة مع الهواء دخانا
وتطاولت في الخافقين غصونها ... ترعى مواكب يعربَ الأغصانا
قد صبَّها الرحمان في قرآنه ... أفلا ترى من سحرها القرآنا

★ ★ ★

فاحمل لمجمعها[1] التحيـة انه ... لم يأل فيهـا حيطة وصيانا
لغة الورى عُلْوان رفعة شأنهم ... فاكتب لرفعـة شأنك العلوانا
لو جُرِّد الإنسان من نعمائها ... أفكان دون نعيمها إنسانا
صقل الزمان لنا حسان وجوهها ... أفما نعمنـــا بالحسان زمانا
فالهجْ بنصرتها وخذ بلوائها ... حتى تحلّ من السماء مكانا!

شفيق جبري

(١) مجمع اللغة العربية بدمشق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net